نزار بن مَعَدّ[1]

أبو منصور، ويُلقَّب بالعزيز صاحب مصر، ولد بالمهديَّة بالقيروان، سنة أربع أو اثنتين وأربعين وثلاث مئة، يوم عاشوراء، في ربيع الآخر، وخرج إلى القاهرة مع أبيه أبي تميم مُعَدّ الملقب بالمُعِزّ، ولمَّا مات أبوه وَلِيَ الأمرَ وله اثنان وعشرون سنة، وقد ذكرنا وقائعه، وكان حسنَ التدبير، كثيرَ الحلم، قليلَ سفكٍ للدماء لا يرى ذلك، عادلاً جواداً، وكانت وفاته بالقاهرة في رمضان ـ وقيل: بالشام، وقيل: ببِلْبيس ـ في الحمَّام، وعمره اثنان وأربعون سنة وثمانية أشهر، وكانت أيامُه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، وولي مكانَه ولدُه أبو علي منصور، ولُقِّبِ بالحاكم بأمر الله، المنتقمِ من أعداء الله، وسِنُّه يومئذٍ خمسٌ وعشرون سنة.

السنة السابعة والثمانون وثلاث مئة

فيها توفِّي أبو العباس فيروز بن ركن الدولة بالرَّيِّ، وكان بهاء الدولة بواسط، فجلس في العزاء، وجلس ابنه أبو منصور ببغداد، وقيل: إن فخر الدولة سمَّه وسمَّ ولديه من بعده، فمات الكلُّ.

وفي رجب توفِّي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة بن بُويه، وعادت طبرستان وجرجان إلى أبي الحسين قابوس بن وُشْمَكير، وكان فخر الدولة لمَّا مَلَكَ البلاد عزَمَ على ردِّها إلى قابوس، وكان أخوه مؤيَّد الدولة قد أخذها منه، فقال له الصاحب بن عبَّاد: هذه بلادٌ عظيمةٌ قد حصَلَتْ بيدك، ومتى أخرجتَها عنك ضيَّعتَ على نفسك من أموالِها ما لا تقتضيه السياسة والاحتياط للدولة. فأصغى إلى قوله، فلمَّا مات كتب أهل جرجان إلى قابوس يستدعونَه، فصار إليهم، وملَكَ إلى باب الريِّ، وجَرَتْ بينه وبين مجد الدولة ـ أبي طالب علي بن حمولا نائب فخر الدولة بجرجان ـ حروبٌ، فكان الاستظهار لقابوس، وكان مقيماً بضياعٍ اشتراها بناحية أسفرايين، فكاتبَه أهلُ جُرجان، فصار إليهم، وقاموا معه فملكوه، وكان حسنَ السيرة، ناظراً في حقِّ الرعية، ولمَّا ملَكَ رَفَع عنهم الرسومَ الجائرةَ والمكوسَ، فازدادوا حبًّا له.

---

(١) المنتظم ١٤/ ٣٨٦. وينظر السير ١٦/ ١٦٧.

وفيها مات صندل مولى بهاء الدولة وصاحبُ خيله، وقام أبو مسك الأثير عنبر مقامَه.

وفيها استولى الحاكمُ صاحبُ مصر على السواحل والشامات، وحجَّ بالناس أبو عبد الله العلوي.

وفيها تُوفِّي

الحسن بن إبراهيم[1]

أبو محمد، المصري، ويُعرف بابن زُولاق، العالم الفاضل، صنَّف «تاريخ مصر»، وكتاب «القضاة» جمع فيه أخبار بكَّار بن قتيبة وغيره، و [له] كتاب «المفاخرة بين مصر وبغداد»، و «فضل مصر بنيلها وهوائها وأماكنها وفَنارها[2] وعلمائها». سمع الحديث ورواه، وكان ثقةً صدوقاً، ومات بمصر في رجب.

[ذِكْرُ طرف من أخبار مصر]:

قال: إنَّ مصر أُسِّست قبل الطُّوفان، وإنَّ الطُّوفان كان مرَّ على الهرمين، واختارها نوحٌ لولده، ودعا لهم. قال: وبغداد أُسِّست في سنة خمس وأربعين ومئة على يد أبي جعفر المنصور.

قلت: لا يلزم من هذا فضلُ مصر على بغداد، فإنَّ البيتَ المُقدَّسَ أقدَمُ من الكعبة، وفيه حديث أبي ذر، والكعبة أفضل بالاتفاق، ونبيُّنا ﷺ آخر الأنبياء، وهو أفضل من الكلِّ.

قال: ومنها نيل مصر وحلاوته ومنافعه وما يغلُّ من الأموال، وكونه أنه من آيات الله، وأنَّ مَنْ شرب من مائه زادت قوَّتُه. واحتجَّ بقول الشافعيِّ: دخلتُ مصر وأنا كالخَصيِّ، فرُزِقتُ بها الولد. قال: وماء دِجلة تُقلِّل شهوة الرجال، وتزيد في شهوة النساء، وتقطع صهيل الخيل، حتى إنَّ جماعةً من الأعراب لا يسقون خيلهم منها، ولا ينتفع بمائها إلا أسفلُ العراق، ومسافة ما يَعُمُّ البلاد من زيادة النيل دون الشهر، وإنَّ دِجْلة والفرات تنقسم ببغداد، إنها يحصل منها مثل مصر، فإن ارتفاع العراق كارتفاع مصر.

وذكر الأطباء أنه لولا ما عندهم من الليمون والحوامض ما عاش بها أحد؛ لحلاوة الماء.

---

(١) معجم الأدباء ٧/ ٢٢٥-٢٣٠. وينظر السير ١٦/ ٤٦٢.

(٢) المثبت من (ب)، وفي (خ): فنائها، وفي (م) و (م١): ثمارها. الفَنار: شبه برجٍ مرتفع لإرشاد السفن في البحار والمحيطات إلى طرق السير. المعجم الوسيط (فنر).

قال: ومن فضائل مصر أنَّ الله ذكرها في ثمانية عشر موضعاً، وثبت أنَّ النبي ﷺ قال: «استوصوا بأهلها خيراً، فإنَّ لهم ذِمَّةً ورَحِماً» وقد ذكرنا الحديث.

قال: ومنها أنَّ حرَّ مصر لا يمنع التصرُّف، وكذا شتاؤها ربيع، وبغداد يمنع حرُّها التصرُّفَ، وكذا شتاؤها.

وفيها الأقوات، فإن مصر تُمير الحجاز واليمن والحرمين والهند والشام والجزيرة، وبَغداد لا تُميرُ أهلَها فضلاً عن غيرها.

قال: ومنها ما يعمل بمصر من الثياب؛ الدَّبيقي والشرب والقصب، وليس في الدنيا بلدٌ يبلغ قيمة الحُلَّةِ فيه ألفَ دينارٍ وأكثرَ غيرَ مصر.

قال: ومنها علماؤُها وزُهَّادُها؛ مثل الشافعي، ويوسف بن يحيى البُويطي ونُعيم بن حماد، والرَّسْعَني، والطحاوي. وفي القُضاة: بكار بن قُتيبة. وفي الزُّهَّاد: ذو النون المصري وغيرهم.

وذَكر من علماء بغداد أحمدَ بن حنبل، قال: ضُرِبَ في زمن المحنة، ولم يجرِ عليه ما جرى على يوسف البويطي ونُعيم بن حماد، فإنَّ البُويطي مات في قيوده في أيام الواثق، وحُمِلَ من مصر إلى بغداد.

وأما نُعيم بن حماد فحُمِلَ أيضاً في قيوده إلى بغداد، وامتُحِنَ فلم يُجِبْ، ومات في قيوده. وذكرَ موازنةً طويلةً.

[وفيها توفِّي]

الحسن بن عبد الله بن سعيد[1]

أبو أحمد، العسكري، العلامة، الراوية، صاحب التصانيف الحِسان في اللغة والأدب والأمثال. قال أبو الحسن علي بن المظفر: قدمتُ البصرةَ، فقرأتُ على أبي أحمد العسكري، فقدم البصرةَ فخرُ الدولة، ومعه الصاحب بن عبَّاد، فبينا أنا أقرأ عليه إذ جاءت رُقعةٌ من الصاحب، فقرأها وكتب في ظَهرِها، وردَّها مع القاصد، فسألتُه عن ذلك، فقال: كتب إليَّ: [من الطويل]

(١) المنتظم ١٤/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨، ومعجم الأدباء ٨/ ٢٣٣-٢٥٨. وينظر السير ١٦/ ٤١٣.

ولـمَّـا أبـيـتُـم أن تَـزوروا وقُـلـتُـمُ ضَعُفنا فما نقوى على الوَخَدانِ[١]
أتـيـنـاكُـمُ مـن بـعـد أرضٍ نـزورُكـمْ وأشـواقُـنـا تـحْـدو بِـجَـذْبِ عِـنـانِ[٢]
نُـنـاشِـدُكُـمْ هـل مِـنْ قِـرًى لِـنَـزيـلِـكُـمْ بـقـرب جـوارٍ[٣] لا بِـمِـلءِ جِـفـانِ

فكتبتُ إليه: [من الطويل أيضاً]

أرومُ نـهـوضـاً ثـم يَـثْـنـي عـزيـمـتـي تـأوُّدُ[٤] أعـضـائـي مـن الـرَّجَـفـانِ
فـضـمَّـنـتُ بـيـتَ ابـنِ الـرشـيـدِ كـأنَّـمـا تـعـمَّـدَ تـشـبـيـهـي بـه وعَـنـانـي
أَهُـمُّ بـأمـرِ الـحـزمِ لـو أسـتـطـيـعُـهُ وقـد حِـيـلَ بـيـن الـعَـيْـرِ والـنَّـزَوانِ

ومعنى ابن الرشيد الأمين لمَّا أُحيط به في حصار طاهر تمثل بهذا البيت.

قلت: صوابه: ابن الشَّريد؛ فإن البيت لصخر بن الشَّريد[٥]، في جملة أبيات، والقصة مشهورة، وكون الأمين تَمَثَّلَ به، لا يُقال: بيت الرشيد، بمجرَّدِ تمثُّلِه به، والله أعلم.

قال: ثم نهضَ وقال: لا يقنع الصاحب مني هذا. ثم ركب دابةً إلى الخِيام، فوجدها مشتبِكَةً، فلم يصِلْ إليه، فصعد على تلٍّ ورفع صوته بقول أبي تمام: [من البسيط]

مـالـي أرى الـقُـبَّـةَ الـفـيـحـاءَ مُـقْـفَـلـةً دوني وقد طالَ ما استَفتحْتُ مُقْفَلَها
كـأنَّـهـا جـنَّـةُ الـفـردوسِ مُـعـرِضَـةً ولـيـسَ لـي عـمـلٌ زَاكٍ فـأدْخُـلَـهـا

قال: فناداه الصاحب: ادخُلْها أبا أحمد، فلكَ السابقةُ الأولى. فتبادر [إليه][٦] أصحابُه فحملوه حتى أجلسوه بين يديه، فسأله عن مسألةٍ، فقال [له][٧] أبو أحمد: الخبير فصادفت. فقال الصاحب: يا أبا أحمد، تُغرِبُ في كلِّ شيء، حتى في المثل؟ فقال: حاشا مولانا من السقوط؛ لأن المثل: على الخبيرِ سَقَطْتَ، فغيَّر العبارة وأتى بالمقصود، وكانت وفاتُه يوم التروية بالبصرة.

---

(١) الوَخَدان: الإسراع في السير. المعجم الوسيط(وخد).

(٢) هكذا الشطر في (ب) و (خ)، وجاء في مصادر الترجمة، والخزانة ١/ ٤٣٧-٤٣٨، والوافي بالوفيات ١٢/ ٧٧: فكم منزلٍ بِكرٍ لنا وعَوانِ.

(٣) في المصادر السابقة: بملء جفون.

(٤) التأوُّد: الاعوجاج والانثناء. المعجم الوسيط (أود)، وفي الخزانة: تعوُّص. وفي باقي المصادر: تعوُّذ.

(٥) صخر بن الشريد هو أخو الخنساء الصحابية المعروفة.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من المصادر.

(٧) ما بين حاصرتين زيادة من (ب).

[وفيها توفِّي]

الحسن[١] بن مراون

أبو علي، الكردي، الأمير، صاحب مَيَّافارقين، قد ذكرنا[٢] بدايتَه وما فعل بأهل مَيَّافارقين [وإخراجهم من البلد]، فلمَّا تمكَّن من ديار بكر أرسل إلى حلب فخطبَ سِتَّ الناس بنت الأمير سعد الدولة شريف بن سيف الدولة بن حمدان، ونقدَها مئتي ألف درهم، وشرطوا عليه أن يدخل بها في آمِد، ويكونُ مُقامُه بها، فبعث إليها أعيانَ نساء ديار بكر وفي جملتهم بنت الخطيب أبي طاهر محمد بن عبد الرحيم[٣] بن نُباتة، وجُهِّزتِ العروسُ أحسنَ [جَهَاز]، وخرجت من حلب، وخرج الأمير أبو علي الحسن من ميَّافارقين إلى آمِد ليدخُلَ بها هناك، فوصلتِ العروسُ إلى الرُّها، فنزلت بظاهرها، وقد بعث إليها عسكراً عظيماً يتلقَّاها، وكانت ليلةً مقمرةً، فخرجت من المخيَّم في ضوء القمر، فسمعَتْ قائلاً يقول تسمع صوتَه ولا ترى شخصَه: [من المنسرح]

لهفي على فارسٍ فُجِعْتُ بِهِ ... أرملَني قبلَ ليلةِ العُرْسِ[٤]

فارتاعت وعادت إلى الخيمة وهي حزينة، فقالت لها بنت [ابن] نُباتَة: ما الذي بِكِ؟ فأخبرتها، فقالت: لا تَتوهَّمي، فكأنِّي بكِ غداً مَلِكةَ ديار بكر. فسمعَتْ قائلاً يقول من وراء الخيمة: قد بقي إن تمَّ. فازدادت وهماً[٥]، وسارت يومين، وإذا بغبرةٍ قد أقبلت من أصحاب الأمير، فقالت لها: أبشري، [فهذه بشارة خير]، فلمَّا قَرُبوا خَبَّروا أنَّ الأمير قُتِلَ على باب آمِد، فرجعتِ المرأة[٦] إلى حلب، وعاد النساء[٧] إلى ميَّافارقين.

---

(١) تحرف في (خ) إلى: الحسين، والتصويب من باقي النسخ.

(٢) تنظر أحداث سنة ثلاث مئة وأربع وتسعين.

(٣) في (خ) و(ب): أبي طاهر بن عبد الصمد، والمثبت من (م) و (م١).

(٤) البيت للُبابة بنت علي ترثي زوجها محمد الأمين ابن هارون الرشيد حين قُتل عنها قبل أن يبني بها. العقد الفريد ١/ ٣٦٠.

(٥) في (م) و(م١): همًّا.

(٦) في (م) و(م١): النساء.

(٧) في (م) و(م١): وعادت المرأة.

وسبب قتله أنه خرج من مَيَّافارقين وأبقى الحاجب حمو بها، واستحجبَ ولده شروه، وسار بعساكره ومعه إخوته، فقال أخوه أبو نصر أحمد في نفسه وقد لاقَوا من الوحل والطين شدةً: لئِنْ ملَّكني اللهُ لأبنيَنَّ ها هنا جسراً يعبر الناس عليه. وساروا حتى وصلوا إلى تلِّ العلوية قريباً من آمِد، فنزل الأمير أبو علي هناك، فخرج إليه عبد البر شيخ آمِد، فقدَّم له هدايا وتُحفاً كثيرةً، وخَلَع عليه الأمير، فانفرد به شروه، وكان يحب الأمير أبا نصر، ويكره أبا علي، فقال له: أيها الشيخ، لا تغترَّ بإكرام الأمير إيَّاكَ، فإن هذا خديعةٌ منه، وما جاء إلَّا لِيوقِع بكم كما أوقع بأهل مَيَّافارقين، فخذوا حِذْرَكم. فقال عبد البر: نحن عبيد الأمير، وتحت طاعتِه، وحكمه فينا نافذٌ، ثم أقام إلى آخر النهار، واستأذن الأميرَ في دخول البلد ليحصل ما يحتاج إليه من الإقامة، ويرتِّبَ أهل البلد للقائه، وقد حَصَل في نفسه من كلام شروه [شيء] [(١)]، فلمَّا دخل البلد جَمَع المُقدَّمين والشُّطَّار وقال: قد علمتُم جَوْرَ هذا الأمير وظلمَه وما فعلَ بأهل مَيَّافارقين. وعرَّفهم ما قال الحاجب، وقال: أنا [إذا] دخلَ البلدَ غداً نثرتُ عليه الدنانير، فيشتغلُ بها أصحابُه، فاكفونا أمْرَه، ومن باشر القتل فهو أمير المدينة. وتحالَفوا على ذلك، فلمَّا طلَعَ الفجر ركب الأمير، وجاء يدخل من باب الماء، فصار في موضع ضيق لا يمشي فيه إلا واحدٌ بعد واحد، فنثر عبد البر على وجهه كفًّا من دنانير، فغطَّى وجهه بِكُمِّه، فوثب أبو طاهر يوسف بن دِمْنة، فصار خلفه على الفرس، وضربه بِسكِّين في خاصرته، ثم مالوا عليه بالسيوف، فقتلوه وقتلوا جماعةً من الذين دخلوا معه البلد، ولم يدخل معه شروه ولا أحدٌ من إخوته، وركبتِ العساكر، فرموا برأسه وجُثَّته إلى أرْزَن[(٢)] فدُفِنَ بها، وبُني عليه قُبَّةٌ، ومَلَكَ أبو نصر أخوه ولُقِّبَ مُمهِّدَ الدولة، وفوَّض الأمورَ إلى شروه وأبيه، وجاء مروان الكردي أبو الأمراء وكان قد عميَ ومعه زوجته أمُّ أولاده، فأقام عند قبر ابنه أبي علي، والقبة فوق رأس المسجد، شرقيَّ الجسر، ويقال: إن أثرها باقٍ إلى هَلُمَّ جَرًّا.

(١) ما بين حاصرتين هنا وفي الموضع الآتي من (ب).

(٢) أرزن: من بلاد ديار بكر. ينظر معجم البلدان ١/ ١٥١.

وخلَّف أبو علي المقتولُ ولداً له اسمه الفضل ـ وقيل: سِنحاريب ـ وكنيته أبو دُلَف، وكان صغيراً، فنشأ مع أعمامه، فلمَّا بلغ زوَّجه عمُّه نصرُ الدولة ابنتَه، فأولدَها ابنةً سمَّاها فاطمة، وأقام مُمَهِّد الدولة مالكاً لديار بكر غير آمِد، وبَعَثَ إلى حلب، فخطب ستَّ الناس على النقد الذي تزوَّجها عليه أخوه، وحُمِلَتْ إلى مَيَّافارقين، فدخلَ بها.

وأمَّا عبد البرِّ ففوَّض بعض أمور آمِد إلى ابن دِمْنة ـ وكان غلامَ عبد البرِّ ـ وسلَّم إليه العسكر، وعَظُمَ شأنُ عبد البرِّ عند الناس حيثُ وفَّى لابن دِمْنة ولم يشْرَه إلى الملك، وكان الناس يتردَّدون إلى عبد البر، فحدَّثَ ابنُ دِمْنة نفسَه بقَتْلِه؛ لأنه اتَّهمه بشروه وتسليم آمِد إلى مُمهِّد الدولة، فصنع طعاماً، ودعا عبد البر، وأدخله في حجرةٍ صغيرةٍ وقتله، ثم جمع الناس وقال لهم: إنَّ عبد البر كان قد عزم على تسليم آمِد إلى ابن مروان، وقد فعلتُ أنا وأنتم ما فعلنا، فلو تمكَّنَ أبو نصر منَّا لَقَتَلنا كُلَّنا ولم يُبقِ منَّا أحداً، وهذا رأسُه. وأخرجه إليهم، فأجابوه بالسمع والطاعة، وفتح الخزائنَ، وفرَّق الأموالَ، وأحسنَ إليهم، فقويَ أمرُه، وكتب إلى شروه يقول: إنك كنت قد اتفقت أنت وعبد البر على مال يحمله إليك في كلِّ سنة، وأنا أحمل إليك ذلك المال. فأجابه شروه، فأمن من ناحيته، وهادى ممهِّدَ الدولة والخلفاءَ والملوكَ، فقبِلوا هديَّتَه، وبعث إليه القادر بالخِلَع من بغداد ومن مصر، وأقام حاكماً على آمِد من غير مُنازع، وبنى القصرَ شرقيَّ آمِد على دِجلة، وفتح له باباً إلى الشطِّ وسمَّاه: باب الهُوة، وكان إذا ركب تُقاد بين يديه الجنائب بمراكب الذهب، وقصده الشعراءُ والعلماءُ، ومدحه التِّهامي بقصائد وأجازه، وكان في أول عمره قد حملَ كارةً من طعام، وأخرجها إلى الطاحون فطحنها، ثم عاد بها إلى دارِ صاحبِها في يومٍ شديدِ الحرِّ، فجلس يستريح بين السُّورين، فنظر فرآه قصيراً، فقال: اللهمَّ إن ملَّكتني آمِد لأرفعنَّ السُّور. فلمَّا ملك رفعه وعلَّاه، وزاد في بنائه، وغَرِم عليه أموالاً كثيرة، فيقال: إنه القائم الآن، ولم يزل مقيماً بآمِد على أحسن حال إلى سنة إحدى أو اثنتين وأربع مئة، وقُتِلَ، وسنذكره إن شاء الله تعالى في موضعه.

(١) تاريخ بغداد ١/ ١٣٥-١٣٨، والمنتظم ١٤/ ٣٨٩-٣٩٠. وينظر السير ١٦/ ٤٦١.

عبد الله بن محمد[١]

ابن عبد الله ابن الثلاَّج، أبو القاسم، البغدادي، كان جدُّه عبد الله مسرفاً؛ يُجمع له الثلج في الشتاء، ويأكله في الصيف، فمرَّ به الموفَّق في يوم حارٍّ، فطلبَ الثلج، فلم يوجَدْ إلَّا عند جدِّه، فطلبوه منه، فكان يحمل إليهم، فسُمِّي الثلَّاج. سمع الكثير، وحدَّث ببغداد، ومات بها فجأةً في ربيع الأول، وقد تكلَّموا فيه؛ قال الخطيب: لمَّا قدم أبو سعيد الإدريسيُّ بغداد سأل عن الشيوخ، فقالوا: ها هنا ابن الثلَّاج. فقال: نمضي إليه ونستفيدُ منه. فجاء إليه، فأخرج له حديثَ قبض العلم، وفيه: حدَّثني أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي، فقال له: أين سمعتَ من هذا الشيخ؟ فقال: هذا شيخٌ قدِمَ علينا حاجًّا، فسمِعْنا منه. فقال: أنا أبو سعيد الإدريسي، وهذا حديثي، ووالله ما رأيتُكَ قبل هذه الساعة. فخجل ابن الثلاَّج.

عبيد الله بن محمد بن حمدان[٢]

أبو عبد الله، العُكبَراوي، الحنبلي، ويُعرف بابن بطَّة، ولد في شوال سنة أربع وثلاث مئة، وسافر إلى البلاد البعيدة؛ الكوفة والبصرة والشام وغيرها، وكان فقيهاً حافظاً، له التصانيفُ الحِسان، منها كتاب "الإبانة" وغيره، وأثنى عليه العلماء.

قال الخطيب: حدثني القاضي أبو حامد أحمد بن محمد قال: لمَّا رجع ابن بطَّة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، فلم يُرَ فيها في سوق، ولا رُؤيَ مُفطراً إلا في يوم الأضحى والفطر، وكان أمَّاراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لم يبلُغْه خَبَرُ مُنكَرٍ إلا غيَّره. وقال: حدَّثني العَتيقي قال: كان ابن بطَّة شيخاً صالحاً، مستجابَ الدعوة، لم أرَ في أصحاب الحديث ولا في غيرِهم أحسنَ هيئةً منه، وكانت وفاتُه في يوم عاشوراء بعُكْبَرا، وبها دُفِن، وقبره ظاهرٌ يُزار. سمع البغويَّ ويحيى بن محمد بن صاعد وابن أبي العقب وغيرَهم.

وروى عنه أبو الفتح ابن قوَّاس والبرمكي وأبو نعيم الحافظ وغيرهم. وقال أبو عبد الله الحسين بن علي الجوهري: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول

---

(١) تاريخ بغداد١٠/ ٣٧١-٣٧٥، والمنتظم١٤/ ٣٩٠-٣٩١، وطبقات الحنابلة٢/ ١٤٤-١٥١ . وينظر السير١٦/ ٥٢٩.

الله، قد اختلفَتْ علينا المذاهبُ، فبِمَنْ نقتدي؟ قال: عليكَ بأبي عبد الله ابن بطَّة. فلمَّا أصبحتُ صعدتُ إلى عُكْبَرا، فدخلت على أبي عبد الله، فلمَّا رآني تبسَّم وقال: صدقَ النبيُّ ﷺ. قالها ثلاثاً.

[وفيها توفِّي]

علي بن أبي علي بن بُوَيه

أبو الحسن[١]، الأمير فخر الدولة بن ركن الدولة، الدَّيلمي، قد ذكرنا أنَّ أباه أَقطَعَه بلاداً كثيرةً، فلمَّا مات أخوه مؤيَّد الدولة أرسل إليه الصاحب بن عبَّاد، فقَدِمَ الريَّ فسلَّم إليه المملكة، وكان شجاعاً، ولقَّبَه الطائعُ بفلك الأمة، وكانت وفاته في هذه السنة، في عاشر شعبان، بالريِّ.

[قال هلال بن الصابئ: حدثني القاضي أبو العبَّاس أحمد بن محمد البارودي قال]: لما اشتدت العِلَّةُ [بفخر الدولة] وصف له الأطبَّاء مكاناً مرتفعاً لأجل الوباء، فأصعدوه إلى قلعة طَبَرَك[٢]، فبقي [فيها] [٣] أياماً يُداوى، ثم مضى لسبيله، وكانت الخزائنُ مُقفلةً مختومةً، وقد جُعِلَتْ مفاتيحُها في كيسٍ من حديد وسُمِّرت بمسامير، وجُعِلَتْ عند[٤] أبي طالبٍ رستمَ ولدِه، فلم يوجَدْ له في ليلة وفاته ما يُكفَّنُ فيه؛ لوقوع الأقفال على الخزائن، وتعذُّر النزول إلى البلد؛ خوفاً من شَغَبِ الجُند، حتى ابتيعَ له من قيِّم الجامع ـ الذي تحت القلعة ـ ثوبٌ، ولُفَّ فيه، ووقع الشَّغبُ، فأرادوا حَمْلَ تابوتِه والنزولَ به من القلعة فلم يَقْدِروا، ولم يُمكِنِ القربُ منه، فشدُّوا تابوتَه بالحبال، وجَرُّوه على درج القلعة حتى تكسَّر، وتَقطَّع فخرُ الدولة ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦] ـ وكان عمرُه ستًّا وأربعين سنةً وخمسةَ أيام، وكانت إمارتُه ثلاث

---

(١) تحرف في (خ) إلى: الحسين، والمثبت من باقي النسخ، والمنتظم ١٤/ ٣٩٤ والترجمة فيه باختصار، وينظر النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٧.

(٢) في (م) و (م١): تَبرك؛ بالتاء. وطَبَرَك: قلعة على رأس جبيل بقرب مدينة الري على يمين القاصد إلى خراسان. معجم البلدان ٤/ ١٦.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) وحدها.

(٤) بعدها في (خ) و (ب) زيادة: أم، وهي مقحمة، والمثبت من (م) و (م١)، والمصادر.

عشرةَ سنةً وعشرةَ أشهرٍ وسبعةً وعشرين يوماً، وكان يقول: قد جمعتُ من المال ما يكفيني وولدي وعساكري خمس عشرةَ سنةً إذا لم يكن لهم مادَّةٌ إلَّا من الحاصل.

[ذكر ما خَلَّف من المال وغيره ابنُ الصابئ على التفصيل، فنذكره جملةً]:

قال ابن الصابئ: وجدت نسخةً بما خلَّفه فخرُ الدولة من المالِ عيناً ووَرَقاً، من الجواهرِ وأواني الذهبِ والفضة، والثيابِ، والفُرُشِ، والسِّلاح، وغيرِ ذلك إلى يوم مات؛ فمن العين على اختلاف أجناسها: العتق، والركنية[١]، والفخرية، والعدلية، والأبهرية، والمؤيدية، والأميرية، والأهوازية، والمعونية[٢]، والمُعِزِّية، والعَضُدية، والبهائية، وغير ذلك ألفي ألف وثمان مئة ألف وخمس وسبعين ألفاً ومئتين وأربعة وثمانين ديناراً، ومن الوَرَق والنُّقْرة[٣] والفضَّة مئة ألف ألف وثمان مئة ألف وستين ألفاً وسبع مئة وتسعين درهماً ... وذكر نقودَها. ومن الجواهر واليواقيت الحمر والصُّفر والكحلي واللؤلؤ والبَلْخَش[٤] والماس[٥] وغير ذلك أربعةَ عشر ألفاً وخمس مئة وعشرين قطعة، قيمتُها ثلاثة آلاف ألف دينار [ومن أواني الذهب ما وزنه ألف ألف دينار] ومن أواني الفضة ما وزنه ثلاثة آلاف ألفِ درهم، ومن البلُّور والصِّيني ونحوه ثلاثة آلاف حمل، ومن السلاح والثياب والفرش ثلاثة آلاف حمل.

وذكر غير ابن الصابئ أنه خلَّف من الخيل والبغال والجمال ثلاثين ألف رأس، ومن الغِلْمان والمماليك خمسةَ آلاف، ومن السراري خمسَ مئة، ومن الخيام عشرةَ آلاف خيمة، وذكروا شيئاً كثيراً، وكان شحيحاً، فكانت مفاتيح خزائنه في الكيس الحديد مُسمَّراً بالمسامير لا يفارقه، وبلغ وفاتُه بهاءَ الدولة وهو بواسط، فجلس للعزاء، وجلس ابنُه أبو منصور ببغداد أيضاً.

---

(١) في (م): الركية.

(٢) في (م) و (م١): والمغربية.

(٣) النُّقرة: القطعة المذابة من الذهب أو الفضة. المعجم الوسيط (نقر).

(٤) نسبةً إلى بلخشان بالعامية، وهي بَذَخْشان: بلدةٌ في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك، والبَلْخَش: معدن مقاوم للياقوت. معجم البلدان ١/ ٣٦٠.

(٥) المثبت من (خ)، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة، وفي بقية النسخ: المال.

ذِكْرُ ما جرى بعد وفاته:

رُتِّبَ ولدُه أبو طالب رستُم في الأمر بعده وله أربع سنين، وبايعه الناس، وأُطلقتِ الأموال، فيقال: إنَّ الأمر أعجلَهم في إطلاق المال عن انتظار ما يَحُطُّ من القلعة على رؤوس الرجال، فنصبوا البَكَر والحبال، وحُطَّ المالُ، والوزير يومئذٍ أبو العباس الضبِّي ويُلقَّب بالكافي الأوحد، وأبو علي بن حمولة ويلقَّب بأوحد الكفاة، وبينهما عداوةٌ شديدة، وكان أبو العباس يترقَّع عليه؛ لأنه كان قبل اشتراكهما في الوزارة عاملاً له، فلمَّا مات فخر الدولة انبسط أبو علي في إطلاق المال واستمالة الرجال، وامتنع أبو العباس من مثل ذلك، واستخلف خليفةً في التوقيع عنه، فمال الجند إلى أبي علي وأحبُّوه، وحصلت له عندهم أيادٍ، وفي رقابهم مِنَن، إلا أنَّ لأبي العباس المنزلَة القديمةَ والمرتبةَ السابقةَ الجليلةَ، والناس يرونه بتلك العين، وما فيهم إلَّا مَنْ قد خدمه على مرِّ السِّنين الطويلة، وجرى الخوض في إخراج العساكر لانتزاع جُرجان وطَبرستان من يد قابوس، وكُوتِبَ بدر بن حسنويه يُستشار في ذلك، فقال: إنَّ الأميرَ الذي ورث هذا المال والملك حديثُ السِّنِّ، ولا وجه لإضاعة المال فيما لا تُعلَم عواقبُه، والصواب أن يُترك هذا الأمرُ على حاله إلى حين بلوغه، فإن خرج نجيباً على ما عُهِدَه من خلائق آبائه قَدَرَ على ارتجاع ما أُخِذَ منه، وإن ضَعُفَ لم تكونوا قد جمعتُم عليه ذهاب مالِه وأعمالِه. فخالفوه، وجرَّدوا العساكر، وقال أصحاب أبي علي بن حمولة: الرأيُ أن تخرج إلى هذا الوجه وتستصحب الخزائن والأموال، فإنك إذا ملكت جُرجانَ كنتَ أميراً مستقلاً لا وزيراً مشاركاً، وكانت الحاجةُ إليك داعيةً، والآمالُ بكَ متعلقةً، وبَعُدْتَ عن الحضرة التي أنتَ مُجاذِبٌ الأمرَ عنها. فعَمِلَ على ذلك، وخرج بالعساكر والأموال، والتقاه قابوس، فقال أبو علي لأصحابه: لا تحملوا حتى آمركم. وأخذ بيده أسطرلاباً، ووقف على فرسه ينظر فيه، يرصُد الوقتَ الذي يصلح، فلمَّا حصل الوقتُ الذي اختاره قال لأصحابه: احْمِلوا. فَحَملوا، وحمل عليهم قابوس فهزمهم، فقال أبو علي لأصحابه: لا تحملوا سواداً، ولكن احملوا المال من الخزائن، فمن حمل شيئاً كان له نصفُه. فحملوا ما قَدَروا عليه، وغَنِمَ قابوسُ وأصحابُه الغنيمةَ العظيمةَ، وعاد أبو علي إلى الريِّ مفلولاً، وشرع في تجريد العساكر مرةً ثانية،

وقال: هذه نوبة أبي العباس. وتوقَّف الحال، ثم اتَّفق رأيُ السيدة وبدر بن حسنويه على القبض على أبي علي؛ ليقرِّروا أمر جُرجان، فلمَّا جاء قبضوا عليه، وقُيِّد في دار أبي عيسى شادي ابن محمد، وكان من الخواصِّ، وبلغ الدَّيلَم، فثاروا وقصدوا دار أبي عيسى، فهدم حائطاً منها، فخرج إلى الصحراء ومعه ابن حمولة، وسار به إلى الدِّينَور، فاعتقله في قلعةٍ، ثم أرسل إليه مَنْ عَصَر خَصْيتَيه حتى مات، وكان في الصلاة قد سجد.

وكبس الديلم دار أبي العباس وقبضوا عليه، وقيَّدوه وحملوه إلى القلعة، فراسلهم وطيَّب قلوبهم، ثم صالحوه بعد ذلك وردُّوه إلى الوزارة، وقالوا: الوزير الذي فعَلْنا لأجله ما فعَلْنا قد مضى لسبيلِه، وما يجوز أن يُفعَلَ في حقِّ أبي العباس ما فعلنا مع تقدمته ورئاسته، وما يقوم أحدٌ مقامَه. فأطلقوه، وشاوروا السيدة عليه، فأجابتهم، وركب، وقبَّلَ الناسُ الأرضَ بين يديه، وفرحوا بِعَودِه إلى الوزارة.

محمد بن أحمد[1]

ابن إسماعيل بن عَنْبَس، أبو الحسين، البغدادي، الواعظ، ويُعرف بابن سمعون، ويُسمى: الناطق بالحكمة، وُلِدَ سنة ثلاث مئة، وذكره العلماء في تواريخهم، وأثنَوا عليه.

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: هو من مشايخ بغداد، له لسان عالٍ في العلوم، لا ينتمي إلى أستاذ، وهو لسانُ الوقت، والمرجوعُ إليه في آداب المعاملات، وهو إمامُ المتكلِّمين والمُعبِّرين عن الأحوال بألطف بيان، مع ما يَرجع إليه من صحَّةِ الاعتقاد وصحبةِ الفقراء.

وقال الخطيب: كان أوحدَ دهره، فريدَ عصره في الكلام على الخواطر والإشارات ولسان المواعظ، وكان له فِراسات وكرامات، دوَّنَ الناسُ كلامَه، وكان القاضي أبو بكر الباقلاني وأبو حامد إذا رأياه قبَّلا يده، وكان أبو بكر يقول: ربما خفي عليَّ

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤-٢٧٧، وتاريخ دمشق ٥١/ ٩ ، وتبيين كذب المفتري ص ٢٠٠-٢٠٦، والمنتظم ١٥/ ٣-٦، وصفة الصفوة ٢/ ٤٧١-٤٧٧، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٥٥-١٦٢. وينظر السير ١٦/ ٥٠٥.

بعضُ كلامه لِدِقَّته.

طرفٌ من أخباره:

قال أبو بكر الأصفهاني خادم الشِّبلي: كنت بين يدي الشِّبلي يوم الجمعة في الجامع، فدخل ابن سَمْعون وهو صبيٌّ وعلى رأسه قَلَنْسوة وهو مُطَيْلَسٌ فوقَها بفوطة، فجاز علينا وما سلَّم، فنظر الشِّبليُّ إلى ظهره وقال لي: يا أبا بكر، هل تدري أيَّ شيءٍ للهِ في هذا الفتى من الذخائر؟.

وقال أبو الفتح ابن القَّواس: أضقتُ إضاقةً شديدةً، ولم يكن عندي غير قوسٍ وخُفَّين، فقلتُ: أبيعُهما. وحضرتُ مجلسَ ابنِ سَمْعون، فالتفتَ إليَّ وقال: لا تَبِعِ القوسَ والخُفَّين، فإن الله يأتيك بالرزق من عنده.

وقال رجاء مولى الطائع لله: أمرني الطائعُ أن أُوَجِّه إلى ابن سَمْعون فأُحضِرَه إلى دار الخلافة، ورأيتُ الطائع على صفةٍ من الغضب ـ وكان ذا حِدَّة[1] ـ فبعثتُ إلى ابن سَمعون وأنا مشغولُ القلب لأَجلِه، فلمَّا حضرَ أعلمتُ الطائعَ، فجلسَ مجلِسَه، وأذِنَ له في الدخول، فدخَلَ وسلَّم عليه بالخلافة، ثم أخذ في وَعْظِه، فأوَّلُ ما قال: رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ... وذكر عنه خبراً، ولم يزَلْ يجري في ميدان الوعظ حتى بكى الطائع وسُمِعَ شهيقُه، وابتلَّ منديلٌ بين يديه بدموعه، وأمسك ابن سَمْعون حينئذٍ، ودفع إلى الطائع دُرجاً فيه طيبٌ وغيرُه، فدفعتُه إليه وانصرف، وعُدْتُ إلى حضرة الطائع فقلت: يا مولاي، رأيتُكَ على صفةٍ من شدة الغضب على ابن سَمْعون، ثم انتقلْتَ عن تلك الصفة عند حضوره، فما السبب؟ فقال: رُفِعَ إليَّ أنه ينتقص عليَّ بن أبي طالب، فأحببتُ أن أتيقَّن ذلك لأُقابِلَه عليه إن صحَّ، فلمَّا حضر افتتَحَ كلامَه بذكر عليٍّ عليه السلام، وأعاد وأبدى في ذلك، وقد كان له مَنْدوحةٌ في الرواية عنه وترك الابتداءِ به، فعلمتُ أنهُ وُفِّقَ لما تزول به عنه الظِّنَّةُ، وتَبْرأُ ساحتُه عندي، ولعلَّه كوشِفَ بذلك.

وقال أبو الثناء شُكْر المعتضدي: لمَّا دَخل عضُدُ الدولة بغداد ـ وقد هلَكَ أهلُها قتلاً

(١) في النسختين الموجودتين (خ) و (ب): وكان وحده. والمثبت من المصادر.

وخوفاً وجوعاً؛ للفتن التي اتصلت بها بين السُّنَّة والشيعة ـ فقال عضد الدولة: آفة هؤلاء القُصَّاص، يُغْرُون بعضَهم ببعض، ويُحرِّضون على سفك دمائهم. فنادى في البلدان: لا يَقُصُّ أحدٌ في جامعٍ ولا في طريق، ولا يتوسَّلْ أحدٌ بأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أحبَّ التَّوسُّلَ ففي قراءة القرآن، ومن خالفَ أُبيحَ دمُه. فرُفِعَ إليه أنَّ ابن سَمْعون جلس إلى يوم الجمعة على كرسيٍّ بجامع المنصور، وتكلَّم على الناس. قال شُكْر: فأمرني أن أبعَثَ إليه من يُحضِرُه ففعلتُ، فدخل عليَّ رجلٌ له هيبةٌ وعلى وجهه نورٌ، فلم أملِكْ أن قمتُ إليه وأجلستُه إلى جانبي، فلم يُنكِرْ ذلك، وجلس غيرَ مُكترِثٍ، وأشفقتُ ـ والله ـ أن يجريَ عليه مكروهٌ على يدي، فقلت: أيها الشيخ، إنَّ هذا الملِكَ عظيمٌ، وما كنتُ أُوثِرُ مخالفةَ أمْرِه، وتجاوزَ رَسْمِه، والآن فأنا موصِلُكَ إليه، فكُلَّما تقع عينُكَ عليه فقبِّلِ التُّراب، وتلطَّفْ في الجواب إذا سألَكَ، واستعِنْ بالله عليه، فعسى أن يُخلِّصَكَ منه، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[1] [الأعراف: ٥٤].

ومضيتُ به إلى حجرةٍ في الدار قد جلس فيها الملك منفرداً خِيفةَ أن يجري من أبي الحسين بادرةٌ بكلام غليظ، فتسير به الرُّكبان، فلمَّا دنَوْتُ من الحجرة أوقفتُه وقلت: إياكَ أن تبرَحَ من مكانك حتى أعودَ إليك، وإذا سلَّمتَ فَلْيكُنْ بخشوعٍ وخضوعٍ.

ودخلتُ لأستأذنَ له، فالتفتُّ وإذا به واقفٌ إلى جانبي قد حوَّل وجهَه نحو دار بختيار، واستفتح فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، ثم حوَّل وجهَه إلى الملك وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، وأخَذَ في وَعْظِه، فأتى بالعجب، فدمعَتْ عينُ الملك، وما رأيتُ منه ذلك قطُّ، وترك كُمَّه على وجهه، وتراجع أبو الحسين فخَرَجَ ومضى إلى حجرتي، فقال الملك: امْضِ إلى بيت المال، وخُذْ ثلاثةَ آلاف درهم، وخُذْ من خزانة الكسوة عشرةَ أثواب، وادفع إليه الجميع، فإنِ امتنعَ فقل له: فرِّقْها في أصحابك، فإن قَبلَها فجِئْني برأسه. فاشتدَّ جَزَعي، وخشيتُ أن يكونَ هلاكُه على يدي، فأتيتُه بالمال والثياب، وقلت: مولانا يقول: استعِنْ بهذه الدراهم في نفقتِكَ، والبَسْ هذه الثياب. فقال: أمَّا هذه الثياب التي

(١) العبارة في طبقات الحنابلة ٢/ ١٥٩: الخلق والأمر لله عزَّ وجلَّ.

عليَّ فَمِنْ ثيابٍ قَطَعها لي، إنَّني منذُ أربعين سنة ألبَسُها يوم خروجي إلى الناس، وأطويها عند انصرافي عنهم، فما أصنَعُ بهذه؟ فقلتُ: فإنه يأمُرُكَ أن تصرِفَها في فقراء أصحابِكَ . فقال: ما في أصحابي فقيرٌ، هو وأصحابُه أفقَرُ مني. وخرج ولم يأخُذْ شيئاً، فعُدْتُ إلى الملك فأخبرتُه فقال: الحمد لله الذي سلَّمنا منه وسلَّمه منَّا.

وقال الخطيب: ذكر ابن سَمْعون على كرسيِّه ليلةَ نصف شعبان الحلواءَ، وكانت مزنةُ جاريةُ أبي سعيد الصائغ حاضرةً، وكان الصائغ تاجراً موسراً، ومنزله بدرب رياح، فلمَّا أمسى ابنُ سَمْعون جاءه غلامٌ ومعه طبق فيه خُشْكَنانك[1]، فقال: من أين هذا؟ قال: من مُزنة. فكسر واحدةً، فوجد فيها ديناراً، ثم كسر أخرى،فوجدها كذلك، فعدَّ الجميع، فإذا بها خمس مئة خُشْكَنانكة ، وفيها خمس مئة دينار، فأخذه وأتى به إلى الصائغ، وقال له: قد وجدتُ هذه الدنانير، وأريد أن يكون جوابُكَ أن لا يعلم أهلُ دارِك، فلعلَّ هذا عُمِلَ ولم تعلم به. فقال: مَعاذ الله أن يحضر مجلسَكَ من فيه ريبة، واللهِ ما تركتْ مزنةُ الدنانير في الخشْكَنانك إلا بحضرتي، ولقد ساعدتُها على ذلك.

وقال ابن سَمْعون: كنتُ أنسخ بالأجرة، وأُنفِقُ عليَّ وعلى أمي، فقلت لها يوماً: أشتهي الحجَّ. فقالت: وأين النَّفقة التي توصِلُكَ؟ ثم نامت، وانتبهت فقالت: رأيتُ النبيَّ ﷺ وهو يقول: دَعيه يَحُجُّ، فهو خير الدنيا والآخرة. قال: فحججتُ، فلمَّا دخلتُ البيتَ سألتُ اللهَ الغنى. فلمَّا عُدْتُ إلى بغداد وجدتُ الخليفةَ قد حرَّمَ على نفسه جاريةً له، وكرِهَ أن يَشيعَ ذلك، فسأل عن رجلٍ صالحٍ يُزوِّجه إيَّاها، فدلَّ عليَّ، فزوَّجني إيَّاها، ونقل إليَّ من الأموال والطِّيب والثياب ما أغناني به عن الناس.

وكان الرَّصَّاصُ الزاهدُ يُقبِّل رِجْلَ ابنِ سَمْعون دائماً، فلا يمنعه، فقيل له في ذلك، فقال: كانت في داري صبيَّةٌ خرج في رجلها ريح الشوكة[2]، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقال لي: قُلْ لابن سَمْعون يضَعْ رِجْلَه عليها، فإنَّها تبرأ. فأتيتُه فأخبرتُه، فجاء إلى داري ووضع رِجلَه عليها، فقامت تمشي، وبَرِئت، فأنا أُقبِّل رجلَه أبداً.

---

(١) الخُشْكَنانك: نوع من الكعك. تكملة المعاجم ٤/ ١٠٣ .

(٢) ريح الشوكة: مرض سببه أخلاط حادة تنفذ في العظم فتأكله. القانون في الطب ٣/ ٢٤٢.

وقال محمد بن أحمد المَرَّار: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام في جامع الخليفة، وإلى جانبه رجلٌ مُتكهِّل، فسألتُ عنه، فقيل: هو عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو يقول: أليسَ من أمتي الرُّهبان؟ أليسَ منهم أربابُ الصوامع؟ أليسَ منهم الأحبار؟ فدخلَ ابنُ سَمْعون، فقال له رسول الله ﷺ: «ففي أمتك مثل هذا؟» فسكتَ، وانتبهتُ.

وقال الحسن بن محمد الخلَّال: قال لي ابن سَمْعون: ما اسمك؟ فقلت: حسن. فقال: قد أعطاك اللهُ الاسمَ فسَلْه أن يُعطيك المعنى.

وقال ابن سَمْعون: رأيتُ المعاصي نذالةً فتركتُها مروءةً، فاستحالَتْ ديانةً.

وقال: احْذَروا الصغائر، فإنَّ للنُّقَط الصِّغار آثاراً في الثوب النَّقي.

وقال: من الوقاحة تمنِّيك مع توانيك، استَوْفِ من نفسك الحقوقَ، ثم وَفِّها الحُظوظ.

وقال: كلُّ من لم يَنْظُرْ بالعلم فيما لله عليه فالعلم حُجَّةٌ عليه.

وقال: الصادقون الحُذَّاق هم الذين نظَروا إلى ما بذَلوا في جنب ما أمَّلوا، فصَغُر ذلك عندهم.

وقال: تظَلَّمْ إلى ربِّكَ مِنْكَ، واستنصِرْه عليكَ يَنْصُرْكَ.

وأنشد: [من البسيط]

لو كلُّ جارحةٍ منِّي لها لُغةٌ ... تُثني عليكَ بما أوليتَ من حَسَنِ
لكانَ مازانَ شُكري إذْ أشَرْتُ بهِ ... إليك أَزْيَدَ في الإحسانِ والمِنَنِ

وقال الحسين بن غالب الحربي: كنا جلوساً عند ابن سمعون في مسجده، فجاء قومٌ معهم كلابُ الصيد، فنبحَتْها كلابُ المحَلَّة، فقال ابن سَمْعون: سبحان الله! هل تدرون ما قالت هذه لتلك؟ قلنا: لا. قال: قالت كلاب المَحلَّة: يا مساكين، رغبتُم في مطاعم الملوك فسَوْجَروكم[1] بالحديد، ولو قَنِعْتُم بالمنبوذ مثلَنا لخلَصْتم من رِقِّ العبودية. فقالت لها كلاب الصيد: لمَّا رأَوْنا أهلاً للخدمة جَبَنونا عليها[2]، وقاموا لنا بالكفاية. فقالت كلاب المحلَّة: لو كان كما قلتُم لكان أحدُكم إذا كَبِرَ عرفوا له حقَّ

(١) من الساجور: وهي القلادة التي توضع في عنق الكلب. المعجم الوسيط (سجر).
(٢) جبنونا عليها: كانوا أسخياء علينا بها. اللسان (جبن).

الخدمة، ونرى أحدَكم إذا كَبِرَ طردوه. فقالت كلاب الصيد: ما تركونا لِما ذكرتُم، ولكن لمَّا قَصَّرْنا في الخدمة طردونا، وكلُّ مقصِّرٍ مطرود.

وقال البَرْقاني: قلت لابن سَمْعون: أنت تدعو الناس إلى الزُّهدِ في الدنيا والتركِ لها، وتأكل أطيبَ الطعامِ، وتلبَسُ أحسنَ الثيابِ، فكيف هذا؟ فقال: إذا أصلحتَ حالَكَ مع الله فكُلْ ما شِئْتَ، والبَسْ ما شِئْتَ، فإنه لا يضرُّكَ. قال: وكان في دار ابن سَمْعون حائطٌ واقف، فأقام مدَّة سنين، فلمَّا مات جاءت امرأةٌ فرأت في ثقبٍ منه خرقةً فجذبَتْها، فوقع الحائط، وكانت الخرقة من ثوبه، وكانت له ثياب أقامت أربعين سنة لم تتَّسِخْ ولم تَبْلَ، فقيل له في ذلك، فقال: إنما يقطعُ الثيابَ ويوسخها الذنوب. وقال لجاريته: احضُري المجلس. فحضرَتْه، فسألها: كيف رأيته؟ فقالت: مجلساً حسناً، إلا أنكَ تُعيدُ ما تقول. فقال: إنما أُعيدُ ليفهمَ مَنْ لا يفهم. فقالت: إلى أن يفهمَ مَنْ لا يَفْهَم يَمَلُّ من قد فَهِمَ. وقال أبو غالب الحربي: سمعته يقول على كرسيِّه في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ الآية [الأعراف: ١٤٣]: مواعيد الأحباب، وإنِ اختلفَتْ إنها لا توحِش بل تؤنِس، وأنشد: [من مجزوء الخفيف]

ماطِلِيني وسَوِّفي ... وَعِديني ولا تَفي
واتْرُكيني مؤمِّلاً[1] ... أو تجودي وتَعطِفي

ذكر وفاته:

تُوفِّي يوم الخميس منتصف ذي القَعْدة، ودُفِنَ بداره بشارع العباسيين، فلم يزَلْ فيها حتى نُقل في حادي عشرين رجب سنة عشرين وأربع مئة ـ وقيل: سنة ستٍّ وعشرين ـ إلى مقابر الإمام أحمد رحمة الله عليه، فدُفِنَ بباب حرب، وأكفانُه تتقعقع لم يَبْلَ منها شيء، وبين نقله ووفاته أربعٌ وثلاثون سنة.

سمعَ الحديثَ الكثيرَ وأملاه، فحدَّث عن أبي بكر بن أبي داود السِّجِسْتاني وغيرِه، وروى عنه القاضي أبو علي بن أبي موسى الهاشمي وغيرُه، وأجمعوا عليه.

(١) في السير ١٦/٥٠٨: مُوَلَّهاً.

نوح بن منصور[١]

ابن نوح، أبو القاسم، السَّاماني، كانوا ملوك ما وراء النهر وسمرقند، ووَلِي نوحٌ هذا وله ثلاثة عشر سنة، وتعصَّبَ له عَضُد الدولة، وأخذ له من الطائع العهدَ على خُراسان والخِلَع، فأقام على خُراسان إحدى وعشرين سنة، وتوفِّي في رجب، فأقاموا بعدَه ولدَه أبا الحارث منصور، [فبقي] [٢] سنةً وتسعةَ أشهر، ثم قبض عليه خواصُّه، وأقاموا أخاه عبد الملك، فقصدهم محمود بن سُبُكْتِكِين فهزمهم، وهربوا منه إلى بخارى، ثم أتاهم أَيْلَك مُظهراً لِنُصرتهم، فقبض على جميعهم في سنة تسع وثمانين وثلاث مئة، وانقرض ملك السَّامانية، وكان نيفاً ومئة سنة.

السنة الثامنة والثمانون وثلاث مئة

فيها في يوم الأربعاء لِستٍّ بَقينَ من المُحرَّم وُلِدَ الأمير أبو محمد علي بن القادر بالله، وتوفِّي في شوَّال من هذه السنة.

وفي رمضان قَبضَ الخليفةُ على أبي الحسن علي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان، وقلَّد كتابتَه أبا العلاء سعيد بن الحسن بن تُرَيْك، فأقام في الخدمة نَيِّفاً وسبعين يوماً، ثم صرفه وأعاد أبا الحسن إلى الكتابة[٣].

وفي شوال جلس القادرُ لرسلِ أبي طالب ـ فخرِ الدولة وبدر بن حسنويه ـ بإشارة بهاء الدولة، وذلك لأنَّ بدرَ بن حسنويه خدَمَ بهاءَ الدولة عند مقامه بالقنطرة البيضاء من الأهواز، وحمل إليه الميرة والعلوفة والهدايا، وأظهر له الموالاة والطاعة، وسأل بهاءَ الدولة ينجز الخِلَع السُّلطانية والعهد لأبي طالب رستم بن فخرِ الدولة وله، وبعث أبا القاسم مادرجواران رسولاً من أبي طالب، وأبا القاسم يوسف بن أحمد بن كج قاضي دَيْنَور رسولاً من بدر، فكتب بهاء الدولة إلى القادر في هذا الأمر، فأضاف في لقب رستم مجد الدولة وكهف الأمة، وبدر بن حسنويه ناصرَ الدينِ والدولة[٤]، وبعث إليهما بالخِلَعَ المعهودة والعهد.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٧. وينظر السير ١٦/ ٥١٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) والمصادر.

(٣) المنتظم ١٥/ ٨، ومعجم الأدباء ١٤/ ٣٥-٣٩.

(٤) في النسخ: نصرة الدولة، والمثبت من المنتظم، والبداية والنهاية ١٥/ ٤٧٨ .